

روح المعاني

عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لا أحل إلا ما أحل الله تعالى فى كتابه ولا أحرم إلا ما أحرم الله تعالى فى كتابه وقال المرسى : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط به علما حقيقة إلا المتكلم به ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة رضى الله تعالى عنهم وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهما حتى قال : لوضع لى عقاب بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنه التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه .

وقال بعضهم : ما من شيء إلا يمكن استخراج من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى أن البعض استنبط عمر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة من قوله سبحانه فى سورة المنافقين : ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقدته بنفس ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وهذا مما لا يكاد ينتطح فيه كبشان فاذا ثبت أن جميع ذلك فى القرآن كان تبليغ القرآن تبليغا له غاية ما فى الباب أن التوقيف على تفصيل ذلك سرا سرا وحكما حكما لم يثبت بصريح العبارة لكل أحد وكم من سر وحكم نهت عليهما الإشارة ولم تبينهما العبارة ومن زعم أن هناك أسراراً خارجة عن كتاب الله تعالى تلقاها الصوفية من ربهم بأى وجه كان فقد أعظم الفرية وجاء بالضلال ابن السبيل بلا مرية .

وقول بعضهم : أخذتم علمكم ميتا عن ميت ونحن أخذناه عن الحى الذى لا يموت لا يدل على ذلك الزعم لجواز أن يكون ذلك الأخذ من القرآن بواسطة فهم قدسى أعطاه الله تعالى لذلك الآخذ ويؤيد هذا ما صح عن أبى جحيفة قال : قلت لعلى كرم الله تعالى وجهه : هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا إلا كتاب الله تعالى أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما فى هذه الصحيفة وكانت متعلقة بقبضة سيفه قال : قلت : وما فى هذه الصحيفة قال : العقل وفكك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر .

وفهم منه كما قال القسطلانى جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه ما لم يكن منقولا عن المفسرين إذا وافق أصول الشريعة وما عند الصوفية على ما أقول كله من هذا القبيل إلا أن بعض كلماتهم مخالف ظاهرها لما جاءت به الشريعة الغراء لكنها مبنية على اصطلاحات فيما بينهم إذا علم المراد منها يرتفع الغبار وكونهم ملامين على تلك الاصطلاحات لقول على كرم

اﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺟﻪﻫﻪ ﻛﻤﺎ ﻓﻰ ﺻﺤﻴﺢ ﺑﺨﺎﺭﻯ ﺣﺪﺛﻮﺍ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻣﻤﺎ ﻳﻌﺮﻓﻮﻥ ﺃﺗﺤﺒﻮﻥ ﺃﻥ ﻳﻜﺬﺏ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ
ﻭﺭﺳﻮﻟﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺃﻭ ﻏﻴﺮ ﻣﻼﻣﻴﻦ ﻟﻮﺟﻮﺩ ﺩﺍﻉ ﻟﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﺫﻟﻚ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻳﻘﺘﻀﻴﻪ ﺣﺴﻦ ﺍﻟﻈﻦ
ﺑﻬﻢ ﺑﺤﺚ ﺁﺧﺮ ﻟﺴﻨﺎ ﺑﺼﺪﺩﻩ .

ﻭﻭﻗﺮﻳﺐ ﻣﻦ ﺧﺒﺮ ﺃﺑﻰ ﺟﺤﻴﻔﻪ ﻣﺎ ﺃﺧﺮﺟﻪ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺃﺑﻰ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﻋﻨﺘﺮﻩ ﻗﺎﻝ : ﻛﻨﺖ ﻋﻨﺪ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﺭﺿﻰ
ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻬﻤﺎ ﻓﺠﺌﺎ ﺭﺟﻞ ﻓﻘﺎﻝ : ﺇﻥ ﻧﺎﺳﺎ ﻳﺄﺗﻮﻧﺎ ﻓﻴﺨﺒﺮﻭﻧﺎ ﺃﻥ ﻋﻨﺪﻛﻢ ﺷﻴﺌﺎ ﻟﻢ ﻳﺒﺪﻩ ﺭﺳﻮﻝ
ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻟﻠﻨﺎﺱ ﻓﻘﺎﻝ : ﺃﻟﻢ ﺗﻌﻠﻢ ﺃﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻗﺎﻝ : ﻳﺎ ﺃﻳﻬﺎ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﺑﻠﻎ
ﻣﺎ ﺃﻧﺰﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﻴﻚ ﻣﻦ ﺭﺑﻚ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﻣﺎ ﻭﺭﺛﻨﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﺳﻮﺩﺍﺀ ﻓﻰ ﺑﻴﺾﺎﺀ ﻭﺣﻤﻞ
ﻭﻋﺎﺀ ﺃﺑﻰ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﺭﺿﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﺍﻟﺬﻯ ﻟﻢ ﻳﺒﺜﻪ ﻋﻠﻰ ﻋﻠﻢ ﺍﻟﺄﺳﺮﺍﺭ ﻏﻴﺮ ﻣﺘﻌﻴﻦ ﻟﺠﻮﺍﺯ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ
ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﻣﻨﻪ ﺇﺧﺒﺎﺭ ﺍﻟﻔﺘﻦ ﻭﺍﺷﺮﺍﻁ ﺍﻟﺴﺎﻋﻪ ﻭﻣﺎ ﺃﺧﺒﺮ ﺑﻪ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻣﻦ ﻓﺴﺎﺩ
ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻋﻠﻰ ﺃﻳﺪﻯ ﺃﻏﻠﻴﻤﻪ ﻣﻦ ﺳﻔﻬﺎﺀ ﻗﺮﻳﺶ ﻭﻗﺪ ﻛﺎﻥ ﺃﺑﻮ ﻫﺮﻳﺮﻩ ﺭﺿﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ ﻳﻘﻮﻝ : ﻟﻮ
ﺷﺌﺖ ﺃﻥ ﺃﺳﻤﻴﻬﻢ ﺑﺄﺳﻤﺎﺋﻬﻢ ﻟﻔﻌﻠﺖ